

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

قسم الفلسفة

نظرية العرفان بين يحيى بن حبش السهروردي  
ولسان الدين الخطيب – دراسة مقارنة –

رسالة قدمتها الطالبة

**علياء محمد علي الشمري**

الى مجلس كلية الاداب – الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الفلسفة

بإشراف

الاستاذ الدكتور

**علي حسين الجابري**

٢٠١٢ م

١٤٣٣ هـ

## الخاتمة والنتائج ...

صحيح ان السهروردي والخطيب الغرناطي قد فقدوا حياتيهما بطريقة مأساوية وذلك بسبب انزعاج الفقهاء من نزعتهم العرفانية التي ذهب فيها كل واحد منهما وجهته بعدّهما شهداء المحبة الالهية ، لكنهما خلدا في سجل التاريخ ، حيث انطلق الاول من الفلسفة والمنطق باتجاه العرفان ، اما الثاني فإنه انطلق من علم العمران وفلسفة الحضارة باتجاه الحب الالهي وبفضل ما حققه هذان العارفان من نجاحات على صعيد الفكر والمعرفة وحسن المشورة قربتهما من السلطان مما زاد في قلوب الحاسدين والمنافقين الحقد ، فكان توجههما الى الذات الالهية سبباً في قرار روح الانتقام في اسكات صوتيهما بدعاوى الزندقة والاساءة للذات الالهية على ما بينهما من تفاوت في الزمان والمكان .

لقد انطلق كل من السهروردي والغرناطي في دائرة العرفان ومعرفة الذات الالهية عن طريق المجاهدة والترقي بمراتب العرفان الى ان وصلا الى حضرة ( الحب الالهي) التي تعتبر لب انفعالات العارفين والمحبين والسالكين على مر العصور والدهور ، لقد وجدت في دراستي لسيرتهما وفلسفتيهما ومؤلفاتهما ان ثمة قواسم مشتركة تقرب الغرناطي من السهروردي وسواه من السالكين والممتحنين على ما بينهما من تفاوت في المكان والظروف التي مرت في القرنين السادس والثامن الهجريين .

لقد قادت دوافع الحقد والكراهية هذين المحبين لله سبحانه وتعالى الساعيين لبلوغ ملكوته حيث قضى السهروردي في سجن حلب بقرار من خصومه الذين سخروا اجهزة الدولة للنيل من حياته ، اما الغرناطي فقضى خارج وطنه الاندلس هارباً الى فاس في المغرب العربي وانتهى خنقاً في سجن تلمسان الذي تشرف عليه الدولة من غير ان يستخدم في قتلتيهما اداة جارحة ولم تسل منهما قطرة دم ، انما هو اسلوب اسكات المخالفين بلا ضجيج حتى وان كانوا من ارباب العلم والحكمة والعرفان ، وان كانت محنة الغرناطي اشد قساوة من مقتل السهروردي حين احترق قهراً حتى شوهدت ملامحه مع انه لم يثبت عليه تهمة الخصوم في مجلس عام من غير ان يصدر

عليه حكم ( بالزندقة او الاساءة الى الذات الالهية ) وكما كان حال الحلاج ( قتل في ٣٠٩ هـ ) بسبب بوحه بالحب الالهي ولم يكتمه وقد يعترض عليّ معترض في جديد هذه الرسالة ولا سيما فيما يتعلق بدراستي للسهروردي لكونه قد اشبع بحثاً من المهتمين بالشأن العرفاني ، لكن الجديد الذي وجدته في الغرناطي قد تمثل بأكثر من هدف :

الأول:- انه لم يدرس بعمق في الاكاديميات والجامعات العراقية .  
الثاني:- مقارنة مع السهروردي المقبول في اكثر من موقف ومسألة .  
الثالث :- بطريقة تناول آراء المفكرين على سبيل دراسة الموضوع العرفاني مقارنة وموازنة وليس على سبيل الاستقلال كما دأبت عليه بعض الرسائل .  
ومن اهم النتائج التي توصلت اليها في هذه الدراسة هي :-

اولاً: قرن السهروردي الفلسفة بالتصوف ولذلك سمي الفيلسوف المتصوف المتذوق للحكمة اما الغرناطي فقد فسر حركة الدولة وفلسفة الحضارة بشمس النهار [ شروق و ذروة و غروب ] مستفيداً من النص المقدس (( وجعلنا الليل سباتاً ومن النهار معاشاً )) وكان بذلك سلفاً ( ابن خلدون ) ومصدراً حين قال ان لكل دولة شروفاً وسطوعاً و غروباً ، ومن هنا جاء اعجاب ابن خلدون بطريقة الكتابة ومنهج البحث وذهابه الى المضمون موازنة بالغرناطي الذي يكتب في التاريخ والحضارة وكأنه يقرأ قصيدة .

ثانياً : اما على صعيد المصطلح ( العرفان ) في الفلسفة الاسلامية ، فإنه يرجع الى ابن سينا ( ت ٤٢٨ هـ ) حين عرفه في كتابه الاشارات والتنبيهات (( جمع صفات الحق للذات المريدة بالصدق )) ليكون من القا امام مدرسة بغداد الصوفية القائلة بوحدة الشهود والمعرفة باعتدالها كما ظهرت في شخوص الحارث المحاسبي والجنيد البغدادي ومن سار على منهجها في القرن الثالث الهجري .

ثالثاً: ومن اجمل ما وجدت في منهجية المفكرين ، رمزية السهروردي في خطابه العرفاني ، وعلمية الغرناطي ، في تطبيق ( روضة التعريف بالحب الشريف ) على موضوع محنته ، جريا على طريقة ( علماء الفلاحة ) . وهو منهج لم يسبقه فيه واحد

من المتصوفة بحسب معرفتي المتواضعة ، هذا الى جانب لغته المتميزة ، عن غيره من مناهج الفلاسفة والعرفانيين . وهذا الاختلاف لا يقلل من منهجية السهروردي ومتانة اسلوبه .

**رابعاً:** ربما كشف السهروردي عن حقيقته العرفانية ، عملياً ، في سلوكه او (خلوته) ، فكان يعبر عن ( فكرته في الحب الالهي ) عن طريق ( الاشراق . اما الغرناطي ، فلقد كشف عن ( ثقافة عرفانية ذات اهداف عملية ) تتعلق بنمط سلوك الافراد ، وتحذيراً من الانغماس في ملذات الدنيا ، والتدافع في سبيلها بالمناكب ، مما يورث الكراهية بين المتنافسين الذين نسوا الحياة الثانية ومتطلبات التوازن في العقيدة الاسلامية على قاعدة ( اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ) وليس اقرب من سبيل الى ذلك من التوجه الى المعشوق الاول في الوجود . فكان الغرناطي يلبس تحت رداء السياسة فهو ( ذو الوزارتين ) لباساً من الصوف ، لم يلحظه الخصوم .

**خامساً:** يرى الخطيب الغرناطي ان الحب الالهي هو اصل طريق التصوف واسباس الوعي الروحي وان الارض التي يغرس فيها الحب الالهي هي النفس ولابد من تنظفها من الاشواك ثم اروائها من جداول العقل والنقل لغرس بذور المحبة في النفوس المنطلقة الى الخالق .

**سادساً:** ان محنة العرفان التي عانى منها كل من السهروردي والخطيب الغرناطي لم تكن هي ( الحادثة ) المفردة في تاريخ السلطة السياسية ولواحقها انما يحتوي تاريخ السياسة في الاسلام محن كثيرة ، ذهب ضحيتها جحفل من المفكرين الذين غدرتهم وهم تحت اشرف الدولة ومسؤولياتها . يتعذر ايراد اسمائهم هنا .

**سابعاً:** اما حقيقة المحبة الشهودية فلها عند الخطيب الغرناطي . طريقان ، صاعد نازل ، الأول : من العبد الى ربه بالمجاهدة والرياضية والتجرد عن غرائز الجسد ونوازع النفس الامارة بالسوء ومطامع الدنيا والتوجه بالكلية الى المحبوب ، الذي لا معشوق سواه ، في وحدة شهود روحية لا أحلى منها ولا أجمل بالسهر ( فهو اقرب اليك من حبل الوريد ) ( قريب يجيب دعوة الداعي اذ دعاه ) .

اما الثاني : فمن الرب الى عبده القائم ليله بالنوافل ، والعبادات وماليّ نهاره بالاعمال  
الخيرية والشواغل الرحمانية متوجهاً بجوارحه الى خالقه ، لا يلوي على شيء سوى  
مرضاته . هؤلاء يحبهم الله ويرعاهم ويصلي عليهم ويقربهم اليه . الغرناطي ، من  
الصنف الثاني ، أما السهروردي ، فكان من الصنف الاول حين يجد نفسه من صغره  
المحبوب محبته اشراقية تملأ القلوب وتأسر الالسن وتشبع الواصلين من السالكين  
لفرط الشوق اليه والذوبان في بحر قدرته .